

أضواء البيان

@ 185 @ يدل على العدل ، وهو اسم مدح واجب على كل واحد في كل حال بحسب الإمكان . بخلاف اسم القياس فإنه ينقسم إلى حق وباطل ، وممدوح ومذموم ، ولهذا لم يجده في القرآن مدحه ولا ذمه ، ولا الأمر به ولا النهي عنه ، فإنه مورد تقسيم إلى صحيح وفاسد . فالصحيح هو الميزان الذي أنزله ﷻ مع كتابه ، والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضي بالمعاوضة المالية ، وقاس الذين قاسوا الميتة على المذكي في جواز أكلها بجامع ما يشتركان فيه من إزهاق الروح ، هذا بسبب من الآدميين ، وهذا بفعل ﷻ . ولهذا تجد في كلام السلف ذم القياس ، وأنه ليس من الدين ، وتجد في كلامهم استعماله والاستدلال به ، وهذا حق وهذا حق . كما سنبينه إن شاء الله تعالى . .

والأقيسة المستعملة في الاستدلال ثلاثة : قياس علة ، وقياس دلالة ، وقياس شبه ، وقد وردت كلها في القرآن . فأما قياس العلة فقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع . منها قوله تعالى ، { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فأخبر تعالى أن عيسى نطير آدم في التكوين ، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الي تعلق به وجود سائر المخلوقات ، وهو مجيئها طوعاً لمشيئته وتكوينه ، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم ، ووجود حواء من غير أم . فأدم وعيسى نظيران يجمعهما الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به . .

ومنها قوله تعالى : { قَدْ خَلَّاتٍ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم ، فانظروا إلى عواقبهم السيئة ، واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسوله ، وهم الأصل وأنتم الفرع ، والعلة الجامعة للتكذيب ، والحكم الهلاك . .

ومنها قوله تعالى : { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ قَرْنَهُمْ مَكَّاكَ نَذَرْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدَدَ رِجَالٍ وَجَعَلْنَا الْآسَافَ نُهُارًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ } فأهلكناهم بآياتهم من قبلنا من القرون ، وبين أن ذلك كان بمعنى القياس وهو ذنوبهم ، فهم الأصل ونحن الفرع ، والذنوب العلة الجامعة ، والحكم الهلاك . فهذا محض قياس العلة ، وقد أكدده سبحانه بضرب من الأولى